او الصحفيين بانه كان قبل عشرين او ثلاثين سنة صديقا لاحد الشيوعيين ، لان يفقد هذا الرجل مركزه ومكانته في المجتمع ويصبح شريدا منبوذا .

لقد طغى جو من الرعب والارهاب على البلاد كلها ، وكانت القوائم السوداء تعد في الاوساط السياسية والمالية والفكرية والفنية ، لتتضمن اسماء « الحمر » غير المرغوب فيهم . وكان اصحاب الاسماء في هذه القوائم يفصلون من وظائفهم ، واحيانا يقدمون الى المحاكمة بتهمة التآمر على سلامة الدولة ، والاتصال باعدائها (اي الكتلة الشيوعية) وفي هوليوود ، مثلا ، تولى الممثل اليميني جون وين الاشراف على اعداد قائمة سوداء تضمنت اسماء عدد من ابرز المخرجين ومؤلفي السيناريو ، مما اضطر هؤلاء المنبوذين الى مغادرة هوليوود ، وحتى الولايات المتحدة في بعض الحالات ، بعد ان رفضت جميع الشركات التعامل معهم . واضطر المخرج السينمائي والمسرحي الشهير (الياقازان ان يتبرأ من يساريته السابقة عندما وقف امام اللجنة المكارثية ليشي باصدقائه السابقين . ثم اخرج فيلما يدعى « ذئاب الميناء » (بطولة مارلون براندو) يدور موضوعه حول واجب المواطن بان يبلغ السلطات باسماء الاشخاص الخارجين على القانون ، وهذا الفيلم حاز على جائزة اوسكار .

كان الشعب الاميركي يجلس منبهر الانفاس امام شاشة التلفزيون كل مساء ليتابع سلسلة التحقيقات الميلودرامية التي كان السناتور المخيف يقوم بها في كل ركن من اركان الدولة . واصبحت العادة ان يمر كل متهم بسلسلة طقوس لا تتغير . فهو يقف امام لجنة التحقيق ، ويعترف بذنبه حتى اذا كان هذا الذنب هو صداقته القديمة ليساري وليس اكثر . وبعد ذلك ، كان عليه ان يعلن تبرؤه من ماضيه المخجل، ويشدد على ولائه المطلق لنظام الحكم في الولايات المتحدة . ولكن حتى ذلك لم يكن كافيا ، بل كان عليه ان يعين بالاسماء كل شخص من معارفه يشتبه بيساريته ، وبالتالي عدم اخلاصه للنظام الاميركي . وهذا كان اصعب جزء من شهادته ، اذ عليه أن يشي باصدقائه ومعارفه ، حتى وان كان واثقا من براءتهم واخلاصهم لوطنهم . فهذا هو الثمن المطلوب لتخليص نفسه واسرته من مصير المنبوذين . لقد ارهب مكارثي (ولم يكن اكثر من شيخ انتخب حديثا في مجلس الشيوخ) اميركا كلها ، وحتى رئيس الجمهورية ايزنهاور ، صاحب الشعبية الواسعة كبطل من ابطال الحرب العالمية الثانية ، ووزير خارجيته القوي جون فوستر داليس ، لم يتمكنا من الوقوف بوجهه . كما ان السناتور الليبرالي جون ف. كندي حافظ على صمته في تلك الفترة ، مبررا ذلك فيما بعد بان مكارثي كان صديقا لابيه جوزف كندي ، ولذا لم يشأ ان يتعرض لاساليبه بالنقد . والطريف أن كندي الف بعد ذلك كتابا عن الجرأة السياسية دعاه : صور من الشجاعة ، حاز على جائزة بوليتزر بسببه !

المهم في هذا السياق هو التدليل على فعالية الحملات المنظمة التي تستهدف شخصا او مجموعة اشخاص ، فتعرضهم لحالة حصار من الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية والايديولوجية ، وتخنقهم خنقا . انها تصورهم على أنهم اعداء المجتمع والوطن ولذا يجب مطاردتهم دون هوادة او شفقة . وهذا هو التكنيك الذي تتبعه الحركة الصهيونية في محاربة من تعتبره خصما لها .

وبين الاشخاص الذين تعرضوا لهذه الحملة قبل سنوات : هوجكن ، احد محرري صحيفة التايمز اللندنية ، وهو مختص بالشؤون العربية . فقد كتب مقالا انتقد فيه باسلوب معتدل سياسة القمع التي تنتهجها اسرائيل في الاراضي المحتلة . واذا بعاصفة هوجاء تنفجر فوق رأسه . فقد امتلأ عمود الرسائل في التايمز على مدى ايام